مركز تكامل للدراسات والأبحاث

دراسات محكمة

العمل التطوعي بين الشمال والجنوب:

فجوة مصطنعة أم ريادة حقيقية؟

إدريس قسيم

أستاذ العلوم السياسية والقانون الدستوري

جامعة ابن زهر/أكادير

12 ماي 2025

ALL RIGHTS RESERVED

جميع الحقوق محفوظة

العمل التطوعي بين الشمال والجنوب: فجوة مصطنعة أم ريادة حقيقية؟

تتناول هذه الدراسة العمل التطوعي باعتباره ظاهرة عالمية تهتم بها كل المجتمعات والدول، وذلك من منطلق عوائدها الاقتصادية، ومنافعها الاجتماعية، وأبعادها الإنسانية. اندمج النشاط التطوعي في البنية الاقتصادية والاجتماعية والثقافية للمجتمعات حتى أضحى عنصر تعريف لها، وبات متأثرا بثرائها وتقدمها وإمكاناتها المالية. وساهمت هذه العوامل في تحوله إلى معيار تمايز بين دول الشمال المتقدمة، التي تطور وارتقى فيها العمل التطوعي على مستوى السياسات والمؤسسات، وبين دول الجنوب الأقل تقدما، بما يوحي بوجود فجوة تطوعية بينهما.

تجادل هذه الدراسة بأن ثمة ثلاثة تفسيرات تدحض هذه المقولة: تحديات قياس العمل التطوعي، التمايز الحاصل بين العمل التطوعي الرسمي وغير الرسمي، وخصوصية التطوع الثقافية والاجتماعية والدينية في دول الجنوب.

كلمات مفتاحية: التطوع، الشمال، الجنوب، الفجوة التطوعية.

Based on the economic returns, social benefits, and humanitarian dimensions, this study discusses volunteering as a universal phenomenon which took interest by all states and societies. The volunteering work has been integrated in the economic, social, and cultural structure of societies, to the point thatit has become an element of their definition, and it has influenced by their wealth, development, and financial capabilities. These factors had transformed volunteering into a criterion of differentiation between the wealthy north countries, and the poorest in the south, suggesting a volunteering gap. This study argues that there are three explanations which refute this hypothesis: the challenges to measuring volunteer work, the duality of formal/informal volunteering, cultural, social, and religious specificities of the volunteering activities in the south.

Keywords: Volunteering, North, South, Gap.

مقدمة

استطاعت البشرية عبر آلاف السنين تحقيق تقدم وتطور هائلين، انعكست آثاره ونتائجه في توفير كل مقومات الرفاهية والحياة السعيدة. غير أن حل المشكلات الإنسانية لا يزال عند نفس المستوى الذي كان عليه منذ قرون مضت؛ بمعنى أن العالم ما يزال يواجه اليوم تحديات دراماتيكية تتمثل في العدوان والانحراف والمنافسة الشرسة والقاسية واللامبالاة الاجتماعية، ناهيك عن الكوارث الطبيعية والتحولات المناخية المهددة للبشرية وسلامة الإنسان. وما يزال هناك عجز وقصور حقيقيين في التعامل مع هذه المشكلات.

أثبتت التجربة الإنسانية أن مواجهة المعضلات العالمية والتصدي لها يرتكز على الأشكال الإيجابية للسلوك الاجتماعي الذي يتدخل في الإنسان، ويوظف من خلاله ملكاته ونزعاته الفطرية في التعاون والمساعدة والإيثار والخير، وهذا المستوى من السلوك التعاوني الذي يرمي إلى تقديم المساعدة والمنفعة للآخرين، وتقديم أقصى قدر من الربح المشترك في موقف تكون فيه جميع الأطراف مترابطة هو ما يسمى بالتطوع. لا يتسع المجال كثيرا للتفصيل في تطوره التاريخي والمفاهيمي[1]، ولكن وجبت الإشارة إلى أنه تجاوز كونه سلوكا بشريا وإنسانيا معزولا، وتحول إلى فلسفة وعقيدة وقيم، وإلى مجال معرفي متسع. تشمل الدراساتُ والأدبياتُ المرتبطة بالتطوع المجتمعَ المدني والحركات الاجتماعية والرأسمال الاجتماعي والتعاون والشبكات الاجتماعية والخدمات والمشاركة والمساعدة الذاتية وغيرها كثير[2]. كما أن النتائج والآثار الكبيرة للتطوع، دفعت العديد من الحكومات والدول إلى إيلائه عناية بالغة، والبحث عن سبل تشجيعه ومأسسته وتطويره، خاصة في ظل تراجع الأدوار الاجتماعية

---

[2] لمزيد من التفاصيل حول التطور التاريخي والمفاهيمي للتطوع يمكن الرجوع للدراسة التالية:

Bernard Harris and others, " History of Associations and Volunteering", In The Palgrave Handbook of Volunteering, Civic Participation, and Nonprofit Associations Vol 1, Eds David Horton Smith and others, (New York:Palgrave Macmillan, 2016): 23-58.

[3]Jacqueline Butcher, Christopher J. Einolf (eds), Perspectives on Volunteering: Voices from the South, (Switzerland:Springer, 2017), p 4.

للمجتمع المدني، وتآكل رأس المال الاجتماعي، وتخلي الدولة والمؤسسات الرسمية عن جزء كبير من وظائفها الاجتماعية.

ولأن التطوع بشكل عام يستند في أصله وماهيته على البذل والعطاء والتضامن والتضحية وغيرها من القيم، فإنه يتقاطع إلى حد بعيد مع الخصوصيات الثقافية، والمحددات الاجتماعية، والاعتبارات الدينية للمجتمعات، الأمر الذي ينتج اختلافا وتباينا في مختلف التمثلات والتصورات المرتبطة به، وفي مرجعياته، ومفهومه. علاوة على ذلك، يتأثر التطوع كممارسة عندما يندمج في سياسات الدولة وبرامج الحكومة، ويتحول إلى مرآة تعكس الخيارات والتوجهات السياسية والاقتصادية والاجتماعية الرسمية.

من هذا المنطلق، اهتمت دراسات متعددة بتحليل تجارب الدول في هذا المجال في محاولة لرصد خصائص وسمات الأنشطة التطوعية، وكذا خصوصيات واختلافات اندماجها في منظومة العمل الخيري والتضامني والاجتماعي، وفي الهياكل والمؤسسات الحاضنة والموجهة للعمل التطوعي، ناهيك عن تمويله وحجم نشاطه المالي.

تندرج دراستنا إذن ضمن هذا الإطار الذي يفترض اختلافا، ليس فقط على مستوى المرجعيات المؤطرة والموجهة لثقافة التطوع بين دول الشمال ذات الدخل المرتفع ودول الجنوب ذات الدخل المنخفض، ولكن كذلك في تنظيم وتقنين وهيكلة بنيات ومؤسسات التطوع. كما تقف هذه الدراسة عند تحليل وتفكيك السرديات المنحازة لمقولة "الفجوة التطوعية" Volounteering Gap بين الدول الغنية والدول النامية والفقيرة. وذلك من خلال رصد العوامل والاعتبارات التي تجعل النشاط التطوعي بارزا وواضحا ومنظما في دول الشمال بسبب خضوعه لمستوى متقدم من المأسسة والهيكلة والتنظيم، بينما يظل في دول الجنوب مستترا وغير رسمي.

ينقسم البحث وفق هذه الرؤية إلى أربعة أجزاء: يتناول الجزء الأول مفهوم التطوع، ويتطرق الثاني للطبيعة العالمية للتطوع، ويسلط الثالث الضوء على مفهوم الفجوة التطوعية، بينما يتصدى الجزء الرابع والأخير لمحاولة تفسير ضيق الفجوة التطوعية بين دول الشمال ودول الجنوب.

أولا: في مفهوم التطوع

على الرغم من التنوع الكمي والكيفي في الأبحاث والدراسات المتعلقة بالتطوع، إلا أن هذا المفهوم يظل متنوعا وواسعا، بل ذهب البعض إلى القول بأن معظم الباحثين لم يحددوا بوضوح المقصود بالتطوع، وأولئك الذين فعلوا ذلك استخدموا تعريفات متباينة على نطاق واسع[3]، ومرد ذلك إلى تعدد مناظير وزوايا تناوله، وكذا اتساع نطاق ومستويات تحليله ومقاربته. ومن خلال الاطلاع على الأدبيات التي تصدّت له يمكن تصنيف تعريفات التطوع إلى صنفين أو مستويين: المستوى الأول أكاديمي؛ حيث انبرى باحثون وخبراء للبحث في الحدود المفاهيمية للتطوع. المستوى الثاني مؤسسي، والمقصود بذلك التعريفات المعتمدة من قبل مؤسسات أو منظمات أو هيئات دولية مثل الأمم المتحدة أو منظمة العمل الدولية.

1)- المستوى الأكاديمي

من بين أهم الدراسات التي تناولت بشكل خاص إشكالية تعريف التطوع تلك المنشورة سنة 1996 في المجلة الفصلية للقطاع غير الربحي والتطوعي Nonprofit and Voluntary Sector Quarterly. تؤطر هذه الدراسة التطوع مفاهيميا من خلال أربعة معايير أو محددات: أولها بالتركيز على أكثر التعريفات تداولا واستعمالا في الأدبيات المهتمة بالتطوع. ثانيها باستحضار التعريفات التي تميز بين المفهوم الواسع والمفهوم الضيق للتطوع. ثالثها بالارتكاز على التعريفات المستمدة من مختلف التخصصات والحقول المعرفية. أما المجال التعريفي الرابع فيغطي نطاق اهتمام الممارسين للعمل التطوعي[4]. بالاعتماد على هذه المعايير يقدم البحث أحد عشر تعريفا متنوعا ومختلفا للتطوع من أبرزها تعريفه بأنه "العطاء من الوقت والموهبة الذي يرمي إلى تقديم خدمات والقيام بمهام

[4]Ram A. Cnaanand others, "Defining Who is a Volunteer: Conceptual and Empirical Considerations", Nonprofit and Voluntary Sector Quarterly, N° 09. Vol. 25. Iss. 3, (1996), p 365.

[5]Ibid. p 366.

دون توقع الحصول على تعويض مالي[5]"، وهو كذلك "مجموع الخدمات المجانية التي يقوم بها أشخاص غير مجبرين على القيام بها"، ويمكن تعريفه بأنه "الخدمة الضرورية المرغوبة بشكل عام من قبل الجمهور، والتي لا تستوجب استلام راتب أو مكافأة وتحقق الرضا الذاتي[6]".

هذه التعريفات المختلفة وغيرها تشترك في أربعة أبعاد مركزية: البعد الأول يتمثل في طبيعة الفعل أو الخدمة إن كانت تندرج ضمن النشاط التطوعي أم لا. والبعد الثاني فهو المكافأة، حيث يُفترض في النشاط التطوعي ألا يتوقع مكافأة أو يحقق مصلحة محددة من ورائه، ويشكل هذا المعيار الشرط "الخالص" أو "الأصيل" Purist في السلوك التطوعي. ويمثل الإطار أو البنية المحتضنة للعمل التطوعي البعد الثالث؛ فوفقا لبعض التعريفات فإن التطوع لا يكون إلا ضمن إطار رسمي، بينما تعتبر أخرى أن المساعدة غير الرسمية تظل حاضرة بل ومهيمنة. أما البعد الرابع فهو الفئة المستهدفة والمستفيدة إن كانت لها روابط أو علاقات أو مصالح بالشخص المتطوع[7].

2)- المستوى المؤسسي: المنظمات والهيئات الدولية

تبرز أهمية التعريفات المعتمدة من قبل المنظمات الدولية المعنية بشكل مباشر أو غير مباشر بالتطوع في كونها توسّع من هذا المفهوم ومجال تطبيقه، وتستند إلى معايير أكثر مرونة. يورد برنامج متطوعي الأمم المتحدة UNV ثلاث خاصيات أو شروط تميز العمل التطوعي: أولها عدم الحصول على مكافأة مالية، ولكن سداد النفقات والمدفوعات الرمزية يظل مسموحا به. ثانيها، يفترض السلوك التطوعي أن يكون مبنيا على الإرادة الشخصية الحرة. ثالثها، أن يوجه العمل لشخص آخر غير المتطوع أو للمجتمع ككل[8].

ساهمت منظمة العمل الدولية كذلك في تحديد معايير النشاط التطوعي من خلال إصدارها لدليل قياس العمل التطوعي Manual on the Measurement of Volounteer Work، والذي تم من خلاله إعداد نماذج استقصائية

[6]Ibidem.

[7]Ibidem. p 367.

[8]Ibidem. pp 369-370.

[9] Jacqueline Butcher, Christopher J. Einolf,"Volunteering: A Complex Social Phenomenon", In Jacqueline Butcher, Christopher J. Einolf (Eds), (Switzerland:Springer, 2017),p 5.

للقوى العاملة الوطنية تتمحور حول الأنشطة التكوعية الفردية. من منطلق إحصائي يتجاوز التقارير الإخبارية، تعرف منظمة العمل الدولية النشاط التطوعي على أنه "أي نشاط غير مدفوع وغير إلزامي يهدف لإنتاج سلع أو توفير خدمات للآخرين". بحسب هذا التعريف لا يشمل العمل التطوعي سوى الأنشطة المتعلقة بإنتاج السلع وتوفير الخدمات، ولا يشمل المشاركات المدنية والتي قد تتخذ أشكالا عديدة مثل التصويت في الانتخابات، والمشاركة في المظاهرات، والإضراب، والمقاطعة وغيرها. غير أن تنظيم الأنشطة المدنية أو تيسير مشاركة الآخرين فيها يعتبر عملا تطوعيا إذا تم ذلك طوعا ودون أجر[9].

الأكيد أن التنوع والتعدد في تعريف التطوع هو مظهر من مظاهر شهرته، وهو ظاهرة صحية تجد تفسيرها في طبيعته العالمية؛ أي في ميزاته وخصائصه المشتركة والموحدة، والتطرق لهذه الخاصية مدخل أساسي لفهم التمايزات والاختلافات التي تطال الأنشطة التطوعية بين مختلف الدول والجماعات والمجتمعات.

ثانيا: الطبيعة العالمية للتطوع

يثبت غنى وغزارة المحاولات التعريفية للتطوع أنه شكل عالمي من أشكال السلوك الإنساني؛ ففي كل منطقة من العالم تشخص ثقافتها طبيعة المساعدة والخدمة انطلاقا من تقاليدها ومن تعبيرات التضامن الخاصة بها، وإن اشتركت جميعها في الاتفاق حول طبيعة الحاجات الإنسانية. إن التضامن مع الآخرين وبالأخص في أوقات المحن والكوارث أمر غريزي في الطبيعة البشرية، وإن كان التعبير عنه وتحويله إلى سلوك وفعل أمر يحتاج إلى مهارات وتقنيات ومعارف. من وجهة نظر علم النفس يعتبر الشخص ناضجا متى طوّر من قدرته على العطاء والبذل. وبحسب خبراء التنمية البشرية فإن العمل التطوعي وخدمة الآخرين هي أنشطة من بين أنشطة أخرى تعزز على وجه التحديد من قدرات التعلم[10]. وإذا كان الاختلاف الثقافي والاجتماعي يحدد كيفية مساعدة الناس لبعضهم بعضا، فإن الرغبة في المساعدة تظل فطرية. فاستنادا لمؤشر المجتمع المدني المعتمد من طرف التحالف العالمي

10منظمة العمل الدولية، "دليل قياس العمل التطوعي"، ماي 2021، شوهد في 20 نونبر 2023، الرابط الإلكتروني:
.https://shorturl.at/jkS46

[11]Butcher, Einolf, op cit., p 12.

لمشاركة المواطنين (CIVICUS) World Alliance for Citizen Participation، فإن35% من منظمات المجتمع المدني عبر العالم تعتمد بشكل حصري على المتطوعين[11].

وتفترض ممارسة النشاط التطوعي وجود إطار مستوعب ومحتضن، وهو ما يسمى بالشبكة، وهو عنصر متغير يتجلى فيه بشكل واضح المشترك الذي يميز العمل التطوعي ويضفي عليه الخصوصية المستمدة من طبيعة الروابط داخل المجموعة أو المجتمع. قد تكون الشبكة مجرد ارتباطات بسيطة بين الأفراد أو بين بنيات اجتماعية تقليدية مثل الأسرة أو الجماعة أو القرية أو جماعات إثنية أو مهنية، وقد يكون تشكيلا معقدا لعدة فاعلين[12].

يطرح في هذا السياق السؤال حول المعيار والمحدد الأساسي الذي ينقل النشاط التطوعي من طبيعته وتعريفه العالمي المشترك إلى مجال الخصوصيات المحلية أو الوطنية. لقد سمحت بعض المقاربات الدقيقة التي قام بها برنامج متطوعي الأمم المتحدة إلى اعتماد معيار الشكلانية Formality كأساس للتمييز بين الأنشطة التطوعية، وبشكل خاص بين دول الشمال ودول الجنوب. وتدعم الأدلة التاريخية فكرة أن التطوع غير الرسمي Informal هو ثقافة عالمية، وهو أسبق من الجمعيات التطوعية الرسمية، وحاضر حتى في المجتمعات الإنسانية التي ليس لديها هياكل وبنيات رسمية للعمل التطوعي. وهذا التمييز الجوهري بين العمل التطوعي الرسمي وغير الرسمي سيتم التفصيل فيه في فقرات لاحقة من الدراسة.

إذا كانت خصائص التطوع هاته مشتركة وعالمية بين مختلف الدول والثقافات والمجتمعات، فإن سؤالا جوهريا يطرح حول مستويات وعوامل الاختلاف بينها، وحول تمظهرات هذا التمايز، وكذا خلفياته والمحددات المتحكمة فيه، بل إن ثمة إشكالية بارزة في هذا الإطار تتمثل فيما يمكن أن نطلق عليه "جغرافية التطوع"، أي ذاك المستوى

[12] World Alliance for Citizen Participation," Bridging the gaps: Citizens, organisations and dissociation: Civil Society Index summary report: 2008-201", CIVICUS, 2011, Accessed November 21, 2023,at: https://shorturl.at/djAW9.

[13]Susan Wilkinson-Maposa and Alan Fowler, "The poor philanthropist II: New approaches to sustainable development", African Giving Knowledge Base, 2009, accessed November 20, 2023, at: https://shorturl.at/dNR56.

من الاختلاف في الأنشطة التطوعية بين دول الشمال الغنية ودول الجنوب النامية والفقيرة. وهي إشكالية يتم التعبير عنها لدى بعض الأكاديميين والمهتمين بالتطوع وأدبياته بمقولة "الفجوة التطوعية".

ثالثا: مفهوم الفجوة التطوعية

يبلغ تقدير العمل التطوعي على مستوى العالم برسم إحصائيات سنة 2016[13] بما يكافئ 109 مليون عامل بدوام كامل. وفق هذه الأرقام، فإن قوة التطوع العاملة تحتل المرتبة الخامسة ضمن أكبر القوى العاملة في العالم بعد الصين (775 مليون عامل)، والهند (374 مليون عامل)، والولايات المتحدة الأمريكية (149 مليون عامل)، وإندونيسيا (115 مليون عامل). تشمل هذه الأرقام مختلف أشكال التطوع الرسمي وغير الرسمي. إذا ما أخذنا بهذه الإحصائيات في مجملها نجد أن دول الشمال الغنية -باستثناء الصين والهند- تحتل المراتب الأولى، حيث تتصدر الولايات المتحدة الأمريكية اللائحة (حوالي 9,5 مليون)، تليها الصين (حوالي 6 ملايين)، ثم الهند (أزيد من مليونين)، ففرنسا (حوالي مليونين)، وألمانيا وكندا وإيطاليا (أزيد من مليون)[14].

ضمن نفس السياق، وباستحضار الإحصائيات المتعلقة بما تمثله نسبة المتطوعين العاملين من إجمالي السكان النشيطين اقتصاديا، نجد دول الشمال الغنية في صدارة هذه القائمة: السويد (7%)، هولندا والمملكة المتحدة (5,8%)، النرويج (4,5%)، الدانمارك (4%)، الولايات المتحدة الأمريكية (3%). بينما توجد دول الجنوب في أسفل هذا التصنيف: مصر (0,1%)، كولومبيا (0,5%)، كينيا (0,7%)، المغرب وبيرو (0,8%)[15].وتفترض هذه الإحصائيات كذلك أن "متطوعي الشمال الغني" يقضون مددا زمنية أطول في العمل التطوعي من نظرائهم في الجنوب. يبرز هذا بوضوح في متوسط الدقائق التي يقضيها الشخص يوميا في العمل التطوعي: هولندا 20 دقيقة،

---

[14]هي أقرب سنة توفرت بياناتها استنادا لتقرير حالة التطوع العالمي لسنة 2018.

[15]برنامج الأمم المتحدة للمتطوعين، "الرابط الذي يجمعنا: التطوع وقدرة المجتمعات المحلية على الصمود"، تقرير حالة التطوع 2018، شوهد في 23 نونبر 2023، الرابط: https://shorturl.at/lxTU3.

[16]Lester M. Salamonand others, "Closing the Gap? New Perspectiveson Volunteering North and South", In Perspectives on Volunteering: Voices from the South, Jacqueline Butcher, Christopher J. Einolf (Eds), (Switzerland:Springer, 2017), pp 38-39.

الولايات المتحدة 17 دقيقة، فنلندا 16 دقيقة، ألمانيا 15 دقيقة، كندا والدانمارك 13 دقيقة، بينما في الموزمبيق لا يقضي الشخص المتطوع سوى 6 دقائق، وفي جنوب إفريقيا دقيقتين، وفي باكستان دقيقة واحدة[16].

وعلى مستوى المساهمة في برنامج التمويل الكامل لبرنامج الأمم المتحدة للمتطوعين، تشير إحصاءات سنة 2022 أن الدول الصناعية والدول غنية تساهم بأزيد من 80% من ميزانية البرنامج: كوريا الجنوبية 25,5%، اليابان 18%، فنلندا وسويسرا وفرنسا وإسبانيا وإيرلندا وألمانيا والنرويج مجتمعة تساهم بحوالي 50%[17].

إن هذه الإحصائيات والأرقام وغيرها إن كان لها من تفسير فإنها توحي بأن البلدان الأكثر تقدما والأكثر غنى لديها ثقافة تطوعية أكثر رسوخا من معظم بلدان العالم، وأن الأنشطة التطوعية تنتعش في الدول ذات الدخل المرتفع مقارنة مع تلك ذات الدخل المتوسط أو المنخفض. غالبا ما يتم التعبير عن هذه الوضعية بالفجوة التطوعية، والتي قد يفهم منها أن شعوب هذه الدول أكثر سخاء وعطاء وتملك قدرة وقابلية لتسخير مجهودها ووقتها بشكل مجاني أكثر من باقي دول العالم. في الحقيقة تتعارض هذه "الأسطورة" كما يسميها ليستر سالمون (Lester Salamon) مع الحقائق الاجتماعية والأنتروبولوجية التي تدعم فكرة أن التضامن الاجتماعي والإيثار والتضامن هي خصائص متجذرة في كل الثقافات والمجتمعات، وإن اختلفت في أشكال وصيغ التعبير عنها[18]. وإذا كان الأمر كذلك فما الذي يثبت أن العمل التطوعي في دول الجنوب الأقل تقدما وثراء يقترب أو يساوي وربما يضاهي نظيره في دول الشمال المتقدمة. بصيغة أخرى ما هي الأسس المعيارية والقياسية التي تعم هذه الفكرة؟ وما هي حدودها؟ وما الإشكالات التي تطرحها؟

[17] Ibid., p 41.

[18] UN Volunteers, "Full Funding Programme: Reporting for 2022", 2022, Accessed November 23, 2023, at: https://shorturl.at/tyDT5.

[19] Salamonand others, opcit., p 30.

رابعا: ضيق الفجوة التطوعية بين الشمال والجنوب: محاولة للتفسير

إن تحدي الإجابة عن السؤال المتعلق بمعايير ومقاييس التفاوتات المفترضة في الأنشطة التطوعية بين الشمال والجنوب، يتمثل بالأساس في غياب إحصاءات ومعطيات دقيقة عن العمل التطوعي في دول الجنوب والدول النامية على وجه الخصوص. ليس ثمة مؤسسات مختصة أو أجهزة رسمية أو غير رسمية قادرة على رصد الأنشطة التطوعية، وتتبعها بدقة، وتقديم بيانات قابلة للمقارنة بشكل منهجي، وتظل الإحصائيات والمؤشرات والمسوحات التي توفرها المؤسسات الدولية أو مراكز البحوث نسبية ولا ترصد كل الأنشطة التطوعية كما سيتم تفصيله لاحقا. لذلك فإن هذا الجزء من الدراسة يسعى إلى تقديم تفسيرات، وهو نفس المنحى الذي تتخذه الدراسات والأبحاث التي تدعم هذه الفكرة.

ثمة ثلاثة تفسيرات رئيسية تدحض الفكرة القائلة بوجود فجوة وتفاوت في النشاط التطوعي بين الجنوب والشمال لحساب هذا الأخير.

1)- التفسير الأول: صعوبات وتحديات قياس العمل التطوعي

الأكيد أن قياس العمل التطوعي مهمة معقدة إلى أبعد الحدود، وتعترضها تحديات وصعوبات متعددة. الإشكال الرئيسي الذي يبرز في هذا الإطار يتمثل في تجميع المعطيات والأرقام والإحصائيات؛ ذلك أن المسارات والصيغ والأشكال التي يتخذها العمل التطوعي تتنوع وتتعدد وتختلف، فهو عمل لا يمكن قياسه بمقياس مالي فقط[19]، ولا ينطوي بالضرورة على معاملات نقدية كبيرة؛ لذلك فإنه نادرا ما يتم تتبعه في سجلات أو وثائق تسمح برصد حجمه. علاوة على ذلك، تتنوع تجليات الجهد التطوعي بين ما هو حركي أو بدني، وبين ما هو معنوي كتقديم خبرة أو استشارة، وبين ما هو اقتصادي مثل تقديم الدعم المالي وغيرها من الأشكال.

20- برنامج الأمم المتحدة للمتطوعين، "الرابط الذي يجمعنا: التطوع وقدرة المجتمعات المحلية على الصمود"، مرجع سابق، ص. 74.

يتمثل التحدي الهائل الآخر المرتبط بعملية القياس في المرجعية المفاهيمية للتطوع، أي تعريفه. بحيث تتعدد تعريفات التطوع التي قد تصل أحيانا إلى درجة التباين والاختلاف، خاصة على مستوى المعيار والمحدد المركزي في تعريف وتوصيف وتشخيص النشاط التطوعي، فقد يتم الاستناد إلى معيار عدم الحصول على أجر، وقد يتم أحيانا الاعتماد على الإطار المحتضن إن كان منظمة أو عملا مباشرا، كما قد يتدخل العامل المرتبط بالشكلانية، أي الرسمي وغير الرسمي. بالإضافة إلى كل هذا، لا يمكن استبعاد الاعتبارات الثقافية والدينية في إضفاء الصفة التطوعية على أعمال وأنشطة دون غيرها.

على الرغم من ذلك، فإن قياس العمل التطوعي يظل ضرورة ملحة بالنظر للمنافع الكبرى التي يحققها، والتي تستدعي تطويره وفهمه ورصد تحولاته والاستجابة لشروط تحقيق أهدافه. ورغبة في ذلك عمدت العديد من الهيئات والمنظمات الرسمية وغير الرسمية إلى اعتماد مؤشرات ودراسات استقصائية ومسوحات واستطلاعات. يقدم -على سبيل المثال لا الحصر- مسح القيم العالمية World Values Survey إحصاءات عن النشاط التطوعي في حوالي 100 دولة، ولكنه لا يأخذ بعين الاعتبار إلا العمل التطوعي المرتكز على المنظمات Organized-based. بينما يعتمد برنامج متطوعي الأمم المتحدة على معيار عينات البحث كإطار مفاهيمي يمكن استخدامه في القياس وكمرجع للتنفيذ[20]. بينما ذهبت المؤسسة الأوربية لتحسين ظروف المعيشة والعمل إلى اعتماد معيار الساعات التي يتم قضاؤها في العمل غير المدفوع الأجر في المسح الأوربي لجودة الحياة المنجز سنة 2011[21]. كما يعتبر استطلاع غالوب العالمي Gallup Worldview Surveyالذي تنجزه المؤسسة الأمريكية غالوب والذي يشمل أزيد من 150 دولة أحد أهم المراجع الإحصائية في التطوع، حيث يقدم معلومات عن العمل التطوعي المرتكز على المنظمات والعمل التطوعي المباشر. أما على المستوى غير الرسمي، فيبرز مشروع جونز هوبكنز المقارن للقطاع غير الربحي

[21]المرجع السابق، ص ص. 104-109.

[22] European Foundation for the Improvement of Living and Working Conditions, "Second European Quality of Life Survey Participation in volunteering and unpaid work", 2011, Accessed December 2, 2023, athttps://shorturl.at/gvGPS.

The Johns Hopkins Comparative Nonprofit Sector Project المعروف اختصارا ب JHU/CNP والذي يقوم بجمع معلومات حول القوى العاملة التطوعية التي تشارك في المؤسسات غير الربحية في حوالي 43 دولة تشمل جميع مناطق العالم. وكذلك مسح استخدام الوقت Time Use Survey المعروف اختصارا ب TUS، وهو عبارة عن دراسات استقصائية تقوم بها مؤسسات الإحصاء الوطنية في العديد من البلدان، يتم من خلالها جمع معلومات عن مقدار الوقت الذي يخصصه الناس لأنشطة التطوع في حياتهم اليومية[22].

2)- التفسير الثاني: التطوع الرسمي في مقابل التطوع غير الرسمي

في تعريف التطوع وخصائصه وصيغه تبرز بشكل ملفت ثنائية التطوع الرسمي وغير الرسمي Formal/Informal. يعرّف التطوع الرسمي، ويسمى ذلك التطوع المرتكز على المنظمات Organized-based، بأنه ذاك الذي يجري من خلال منظمات أو رابطات أو جماعات، وعادة ما يضطلع به متطوعون ومتطوعات يلتزمون التزاما مستمرا أو متواصلا تجاه منظمة ما، ويساهمون بوقتهم على أساس منتظم. أما العمل التطوعي غير الرسمي، ويصطلح عليه كذلك بالتطوع من شخص لآخر Person-to-person فيحدث مباشرة بين الأفراد والمجتمعات المحلية دون أن تتوسط فيه منظمة[23]. تشير إحصائيات برنامج متطوعي الأمم المتحدة أن 70%من النشاط التطوعي العالمي يحدث من خلال المشاركة المباشرة بين الأشخاص، أي غير رسمي، في حين أن 30% يتم بشكل رسمي من خلال المنظمات أو الجمعيات[24].

وهذا الحضور والتأثير المتعاظم للعمل التطوعي غير الرسمي جعله في قلب اهتمام أدبيات التطوع، كما أن الأعمال والأبحاث التجريبية المنجزة حوله تمحورت بشكل مهم حول العوامل والمحددات الرئيسية المتحكمة فيه. تبرز في هذا السياق المتغيرات الديمغرافية مثل الجنس والسن والعرق والإثنية، والوضع الاجتماعي والاقتصادي، والموارد،

---

[23]Salamonand others, opcit., pp 37-39.

[24]برنامج الأمم المتحدة للمتطوعين، "الرابط الذي يجمعنا: التطوع وقدرة المجتمعات المحلية على الصمود"، مرجع سابق، ص. 33.

[25]UN Volunteers, "The Scope and scale of global volunteering: current Estimates and Next Steps", 2018, Accessed December 4, 2023, at: https://shorturl.at/EQR06.

والدوافع والقيم والرأسمال الاجتماعي، وبنية الأسرة والشبكات الاجتماعية[25]. والحقيقة أن هذه الموجهات بالإضافة إلى كونها تمثل خطوط التمايز الرئيسية بين العمل التطوعي الرسمي وغير الرسمي، فإنها تشكل عناصر الاختلاف المحورية في السلوك والأنشطة والثقافة التطوعية بين الشمال العالمي والجنوب العالمي، ولكن المثير للانتباه أن ذلك ليس ضمن الإطار الذي يمنح التفوق والريادة للأول، بل بالعكس فهو يرفع من قيمة وحجم العمل التطوعي في الجنوب بشكل عام، وينسف مقولة الفجوة التطوعية.

نتوسل مرة أخرى للاستدلال على هذا الأمر بنفس المقترب الذي منح التفوق للشمال فيما يتعلق بالتطوع الرسمي، أي بالأرقام والإحصائيات. فعلى مستوى العمل التطوعي غير الرسمي توجد المكسيك في مقدمة دول العالم بحوالي 4 مليون متطوع، تليها الهند بأزيد من 3 ملايين متطوع، ثم تايلاند وكولومبيا وغانا بحوالي مليوني متطوع[26]. علاوة على ذلك، وإذا كانت دول الجنوب تفتقر إلى المعدلات العالمية للتطوع الرسمي الموجودة في الدول الصناعية الغنية، فإن لديها معدلات مماثلة في العمل التطوعي غير الرسمي. فبالاعتماد على مؤشر العطاء العالمي World Giving Index[27] يرتبط العمل التطوعي الرسمي بشكل أساسي بالناتج المحلي الإجمالي، لكن العمل التطوعي غير الرسمي لم يكن له ارتباط كبير. كما أن المراكز العشر الأولى للتطوع الرسمي في هذا المؤشر جميعها من الدول الصناعية، ولكن بالنسبة للتطوع غير الرسمي كانت الدول النامية ودول الجنوب لها حضور وازن ومؤثر، وهذه البلدان بالترتيب هي: إندونيسيا، كينيا، الولايات المتحدة الأمريكية، أستراليا، نيوزلندا، ميانمار، سيراليون، كندا وزامبيا[28].

---

[26]Christopher J. Einolfand others, "Informal, Unorganized Volunteering", In The Palgrave Handbook of Volunteering, Civic Participation, and Nonprofit Associations Vol 1, David Horton Smith and other (Eds), (Hampshire: Palgrave Macmillan, 2016), pp 228-230.

[27] برنامج الأمم المتحدة للمتطوعين، "الرابط الذي يجمعنا: التطوع وقدرة المجتمعات المحلية على الصمود"، مرجع سابق، ص ص. 102-103.

[28] هو تقرير سنوي تنشره مؤسسة المعونة الخيرية ويصنف أكثر من 140 دولة في العالم وفقا لأعمالها الخيرية.

[29]Charities Aid Foundation, "World Giving Index 2022: A global view of giving trends", 2022, Accessed December 4, 2023, at: https://shorturl.at/bgxIZ.

3)- التفسير الثالث: خصوصيات التطوع في دول الجنوب

كل ما تم تقديمه من معطيات وحجج حول الفوارق الواقعية والمفترضة بين الأنشطة التطوعية في دول الشمال ودول الجنوب، يجد تفسيره ومرجعيته في مجمل الاختلافات الشاملة والكلية بين هاتين الكتلتين. فإذا كانت الفجوة التطوعية لا تعدو أن تكون تجل لأسبقية الشمال على الجنوب اقتصاديا وتنمويا وماليا، فإن ضيق هذه الفجوة أو انعدامها هو كذلك انعكاس لمستويات أخرى من التمايز الاجتماعي والثقافي والديني والسياسي.

فمن الواضح أن التطوع ومن منطلق تنوعه وتعدد مقتربات تعريفه هو مفهوم محدد السياق context-specific[29]؛ أي أنه خاضع إلى حد بعيد لخصوصية السياقات المحلية والوطنية. هذه الأخيرة تخلق تمثلات وتصورات للعمل التطوعي تؤثر بالضرورة على دوره وصيغه وطرقه وأشكاله.

في هذا السياق، تبرز الأدبيات التي تناولت المسألة التطوعية من منظور اجتماعي وثقافي وسياسي. يحيل لوك هالمان (Loek Halman) في دراسته حول "التطوع والديمقراطية والمواقف الديمقراطية"[30] بشكل ملفت إلى كل من أليكسيس دي توكفيل (Alexis De Tocquezille) وروبرت بوتنام (Robert Putnam). يجادل الأول بأن الديمقراطية في أمريكا يمكن أن تنشأ وتنمو بسبب العدد الكبير من الأمريكيين المشاركين في العديد من المنظمات التطوعية[31]. بينما يذهب الثاني إلى حد القول بأن الديمقراطية معرضة للخطر في الولايات المتحدة الأمريكية، لأن الأمريكيين منفصلون بشكل متزايد عن الهياكل الاجتماعية، ونتيجة لذلك هناك عجز متزايد في رأس المال الاجتماعي مع عواقب وخيمة على المجتمع، إذ غالبا ما ينظر إلى تراجع المشاركة المدنية على أنه نتيجة للفردية

---

[30] Elizabeth Hacker," Perceptions of Volunteering and Their Effect on Sustainable Development and Poverty Alleviation in Mozambique, Nepal and Kenya", In Perspectives on Volunteering: Voices from the South, Jacqueline Butcher, Christopher J. Einolf (Eds), (Switzerland: Springer, 2017), p 53.

[31]Loek Halman, " Volunteering, Democracy, and Democratic Attitudes", In The Values of Volunteering: Cross-Cultural Perspectives, Paul Dekker , Loek Halman(Ed)s, (New York: Springer Science+Business Media, 2003).

[32]ألكسيس دي توكفيل، الديمقراطية في أمريكا: الجزءان الأول والثاني، ترجمة أمين مرسي قنديل، (القاهرة: عالم الكتب، 2004)

المستمرة[32]. على هذا النحو، تعتبر المنظمات التطوعية بمثابة الجسر بين المواطن والدولة، إنها الوسيلة الأساسية التي يتم من خلالها أداء وظيفة الوساطة بين الفرد والدولة. ومن خلالها يستطيع الفرد أن يربط نفسه بشكل فعال وهادف بالنظام السياسي[33].

بمعنى آخر يمكن القول إن الفعل الاجتماعي بشكل عام، والتطوعي بشكل خاص في الدول المتقدمة أو دول الشمال أو الدول الديمقراطية متصل بشكل وثيق بالبناء وبالهياكل وبالمؤسسات الديمقراطية وبالمشاركة السياسية. ولعل هذه الأدوار هي التي تفرض وتحتّم ضرورة هيكلته ومأسسته وتنظيمه، وهي عوامل تساهم إلى حد كبير في رصده وتتبعه وإحصائه، بما يجعله ظاهرا وبارزا وقابلا للقياس وللتقديرات الكمية.

وفي المقابل، في دول الجنوب والدول النامية تنمو وتنتعش الشبكات الاجتماعية والدينية والإثنية على حساب المؤسسات والهياكل السياسية والديمقراطية، وهي -أي الشبكات- محضن مثالي للعمل التطوعي المباشر وغير الرسمي والذي لا تلتقطه الإحصاءات والاستطلاعات والمسوحات. في بعض الدول مثل جنوب إفريقيا يوجد صراع بين التطوع الرسمي الذي تدعمه وتقره الدولة، وبين التطوع غير الرسمي الذي يشجعه ويقوم به المجتمع التقليدي. كما أن أغلب الأنشطة التطوعية ذات المردود الاجتماعي الكبير مثل حفلات الزفاف والدفن والتعاون في الزراعة والبناء والمشاركة في حملات التنظيف ومحو الأمية وغيرها من الأعمال، غالبا ما يقوم بها ويتم تنظيمها من طرف زعماء المجتمع المحليين ورجال الدين والتجمعات الشبابية والنسائية غير المنظمة في القرى والمداشر الصغيرة والأحياء الهامشية[34]. والعمل التطوعي الذي تستوعبه وتحتويه هذه الشبكات معزز بنظام للقيم يختلف اختلافا معتبرا عن نظام القيم في دول الشمال المتقدمة.

---

[33]Robert D. Putnam, Bowling Alone:The Collapse and Revival of American Community, (New York: Touchstone, 2001).

[34]Gabriel Abraham Almond, Sidney Verba, The Civic Culture: Political Attitudes and Democracy in Five Nations, (New Jersey: Princeton University Press, 1963), p 300.

[34]Einolf, op.cit., p 227.

يرتبط التطوع في دول الجنوب بمنظومة الدوافع الدينية والأخلاقية والقبلية التي لا تكون في كثير من الأحيان نتيجة البحث الواعي أو التلقائي عن المشاركة، ولكنها قد ترقى إلى درجة الالتزام، وتعبّر عن الإيمان والارتباط الروحي والانتماء الهوياتي والتمسك بالعادات.

خاتمة

الأكيد أن التطوع أضحى قوة اقتصادية واجتماعية هائلة في عالم اليوم. فقد اتضح من خلال هذه الدراسة أن القوى العاملة التطوعية تحتل مرتبة متقدمة إذا ما تم مقارنتها بالقوة العاملة "العادية". ومن منطلق الخدمات والأدوار الكبرى والمحورية التي باتت تضطلع بها الأنشطة التطوعية، فقد تم إيلاؤها أهمية بالغة: على مستوى سياسات الدول الرسمية، وعلى مستوى العمل المدني والأهلي غير الرسمي، وعلى مستوى المنظمات والهيئات الدولية، وبطبيعة الحال ضمن الاهتمام الأكاديمي والبحثي الذي يروم فهم الظاهرة وتفسيرها ورصد تحولاتها والاختلافات التي تميز ممارستها من مجتمع لآخر. ضمن هذا الإطار، حاولت الدراسة التصدي لإشكالية التمايز الحاصل في السلوك التطوعي بين دول الشمال المتقدمة والأكثر ثراء، وبين دول الجنوب الفقيرة أو النامية الأقل دخلا. إشكالية غالبا ما يتم التعبير عنها ب"الفجوة التطوعية". قدمت الدراسة ثلاثة تفسيرات بمثابة حجج تؤكد نسبية هذه المقولة ومحدوديتها. أولها صعوبة قياس العمل التطوعي بشكل عام، وفي دول الجنوب بشكل خاص. ثانيها، الاختلاف الحاصل بين العمل التطوعي الرسمي الذي يمكن رصده وقياسه وإحصاؤه، وبين العمل التطوعي غير الرسمي. ثالثها، الخصوصيات الاجتماعية والثقافية والدينية لدول الجنوب. كل هذه العوامل تحرم العمل التطوعي في الجنوب من الظهور الذي يستحقه، وتضيع فرص للاستفادة منه ومن مساهماته بشكل ناجع ومفيد.

ولا تشكل هذه العوامل وحدها العقبات التي تحول دون بروز العمل التطوعي في دول الجنوب وانتشاره وتحوّله إلى قوة مجتمعية ذات مردود اجتماعي واقتصادي كبير، بل ثمة تقييدات ومعوّقات غير مرتبطة بالنشاط التطوعي وإكراهاته الموضوعية، ولكنها ذات طبيعة سياسية وأمنية وبيروقراطية. ما يزال التطوع في العديد من دول الجنوب

غير معزول عن الهواجس الأمنية والاعتبارات السياسية والإيديولوجية، وعن نزعات التوظيف والتحكم والتتبع والتوجيه، ناهيك عن غياب أو محدودية الإطارات والهياكل القانونية المنظمة للعمل التطوعي.

لائحة المصادروالمراجع

-العربية

كتب

- دي توكفيل، ألكسيس.الديمقراطية في أمريكا: الجزءان الأول والثاني. ترجمة: أمين مرسي قنديل، القاهرة: عالم الكتب، 2004.

مراجع إلكترونية

- برنامج الأمم المتحدة للمتطوعين، "الرابط الذي يجمعنا: التطوع وقدرة المجتمعات المحلية على الصمود"، تقرير حالة التطوع 2018، شوهد في 23 نونبر 2023، الرابط: https://shorturl.at/lxTU3.
- منظمة العمل الدولية، "دليل قياس العمل التطوعي"، ماي 2021، تاريخ الزيارة 20 نونبر 2023، الرابط الإلكتروني: https://shorturl.at/jkS46.

-الإنجليزية

Books

- Butcher, Jacqueline. Christopher J. Einolf (eds). Perspectives on Volunteering: Voices from the South, Switzerland: Springer, 2017.
- Gabriel Abraham Almond, Sidney Verba. The Civic Culture: Political Attitudes and Democracy in Five Nations. New Jersey: Princeton University Press, 1963.
- Putnam, Robert D. *Bowling Alone:* The Collapse and Revival of American Community, New York: Touchstone, 2001.

Chapter in books

- Butcher, Jacqueline. Christopher J. Einolf,"Volunteering: A Complex Social Phenomenon", In Perspectives on Volunteering: Voices from the South, Jacqueline Butcher, Christopher J. Einolf (Eds). (Switzerland: Springer, 2017): 3-28.
- Hacker, Elizabeth." Perceptions of Volunteering and Their Effect on Sustainable Development and Poverty Alleviation in Mozambique, Nepal and Kenya." Perspectives on Volunteering: Voices from the South, Jacqueline Butcher, Christopher J. Einolf (Eds), (Switzerland: Springer, 2017): 53-73.
- Halman, Loek. " Volunteering, Democracy, and Democratic Attitudes." In The Values of Volunteering: Cross-Cultural Perspectives, Paul Dekker, Loek Halman(Eds). (New York: Springer Science+Business Media, 2003): 179-198.
- Harris, Bernard and others. " History of Associations and Volunteering." In The Palgrave Handbook of Volunteering, Civic Participation, and Nonprofit Associations Vol 1, Eds David Horton Smith and others. (New York: Palgrave Macmillan, 2016): 23-58.
- J. Einolf,Christopher and others. "Informal, Unorganized Volunteering." In The Palgrave Handbook of Volunteering, Civic Participation, and Nonprofit Associations Vol 1, David Horton Smith and other (Eds). (Hampshire: Palgrave Macmillan, 2016): 223-241.
- M. Salamon,Lester and others. "Closing the Gap? New Perspectives on Volunteering North and South." *In Perspectives on Volunteering: Voices from the South*, Jacqueline Butcher, Christopher J. Einolf (Eds), (Switzerland: Springer, 2017): 29-51.

Articles

- A. CnaanRam and others, "Defining Who is a Volunteer: Conceptual and Empirical Considerations." Nonprofit and Voluntary Sector Quarterly", N° 09. Vol. 25. Iss. 3, 1996.

Internet

- Charities Aid Foundation, "World Giving Index 2022: A global view of giving trends", 2022, Accessed December 4, 2023, at: https://shorturl.at/bgxIZ.
- European Foundation for the Improvement of Living and Working Conditions, "Second European Quality of Life Survey Participation in volunteering and unpaid work", 2011, Accessed December 2, 2023, athttps://shorturl.at/gvGPS.
- Susan Wilkinson-Maposa and Alan Fowler, "The poor philanthropist II: New approaches to sustainable development", African Giving Knowledge Base, 2009, accessed November 20, 2023, at: https://shorturl.at/dNR56.
- UN Volunteers, "The Scope and scale of global volunteering: current Estimates and Next Steps", 2018, Accessed December 4, 2023, at: https://shorturl.at/EQR06.
- UN Volunteers, "Full Funding Programme: Reporting for 2022", 2022, Accessed November 23, 2023, at: https://shorturl.at/tyDT5.
- World Alliance for Citizen Participation," Bridging the gaps: Citizens, organisations and dissociation: Civil Society Index summary report: 2008-201", CIVICUS, 2011, Accessed accessed November 21, 2023,at: https://shorturl.at/djAW9.